

## إشكالية المنحى الفقهي للمدرسة التفسيرية الاندلسية حتى القرن السابع الهجري

كاظم قاضي زاده<sup>١</sup> ، صادق آيينه ونده<sup>٢</sup> ، رضية رجب طهمازي<sup>٣</sup>

تاريخ الوصول: ١٤٢٨/١/٨

تاريخ القبول: ١٤٢٨/٧/١٤

بجنا سيتناول الجواب على هذا السؤال: لماذا كثرت التفاسير الفقهية او الاجتهادية تحت عنوان (أحكام القرآن) في الاندلس حتى القرن السابع؟

دراستنا استقرت المصادر التاريخية و التفسيرية واعتمدت على الوصف و الاستنباط النقدي هادفة كشف العوامل المؤدية الى توجيه المدرسة التفسيرية نحو الفقه، و ابرزها ما يأتي: الارادة السياسية الأموية - القراءات و أثرها في ظهور المذاهب - طبيعة الاندلسيين الاجتماعية و العقائدية - رد الاعتبار الى المذهب السني - ظهور حكومات دينية سلفية.

علي ضوء العوامل المذكورة، فُسح المجال لأن تنصدر القراءات القرآنية أمور المسلمين في الاندلس، مما أدى الى استغراقهم فيها وانشغالهم بها، و بالنتيجة ابعادهم عن مدارس القرآن و الحديث حتى القرن الثالث.

بديهي أن اختلاف القراءات القرآنية يستتلي بيان أحكام آياته، و ظهور مذاهب و تيارات فقهية، فسر كل منها ما يعزز مذهبها و يضعف غيرها، فظهرت التفاسير الفقهية او الاجتهادية. بدأت الحركة التفسيرية في الاندلس متأخرة، فبرزت بواكيرها في القرن الثالث، و كانت الدولة

١. استاذ علوم القرآن و الحديث، عضو الهيئة العلمية بجامعة تربيت مدرّس - طهران

٢. استاذ التاريخ، جامعة تربيت مدرّس طهران

٣. طالبة في قسم علوم القرآن و الحديث، مرحلة الدكتوراه في جامعة تربيت مدرّس - طهران

الأموية قد فرضت المذهب المالكي الحديثي السلفي عليهم، فما وترعرع التفسير في عهد المرابطين السلفيين، وبلغ أشده على يد الشيخ ابن عطية في عصر الموحدين ثم نضج في القرن السابع بعد أن فتح القرطبي باب الاجتهاد علي مصراعيه وجمع شمل المذاهب الأربعة بتفسيره (الجامع لأحكام القرآن..). الذي يمكن اعتباره خاتمة هذا المنحى الفقهي لتلك القرون.

الكلمات الرئيسية: المدرسة التفسيرية الاندلسية، القراءات القرآنية، التفسير الفقهي، صراع المذاهب، أحكام القرآن.

### المقدمة

خرّجت الأندلس في القرون السبع الأولى مفسرين صنفوا تفاسير غلب عليها الطابع الفقهي او الاجتهادي تحت عنوان (أحكام القرآن) بحاجة الى دراسة العوامل التي وجهتها نحو هذا المنحى.

لقد تعرض عدد من الدارسين لهذه المدرسة التفسيرية، في دراستهم العامة<sup>١</sup> و الخاصة<sup>٢</sup>، شملت الأولى منها دراسة لهذه المدرسة منذ نشأتها حتى القرن المعاصر، بعرض سريع لمفسرها من حيث النشأة والمنهج و المنحى التفسيري مع ذكر بعض العوامل التي دفعتهم لذلك المنحى أحيانا.

أما الثانية فأثما تناولت كل مفسر على حدة تناولاً تفصيلياً يميل الى التحيز.

هذه الدراسات اقتصرت على بيان الظرف الزمكاني المقطعي للمفسر دون مراجعة السلسلة الزمنية التي يشكل ظرف كل مفسر و نتاجه احدي حلقاتها.

لقد اشتركت المدرستان التفسيريتان: المشرقية و المغربية في المنحى الفقهي و ظهور تفاسير (أحكام القرآن)<sup>٣</sup> للقرنين الثالث و الرابع، حيث تبلورت المذاهب الاربعة فيها

٣. المشرقية: حاز المذهب الشافعي على قصب السبق في تصنيف أحكام القرآن فكان اوله ل محمد بن ادريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) - ثم ظهر ل: اسماعيل بن اسحاق الجهمي الأزدى المالكي (ت ٢٠٢ أو ٢٨٢هـ) - و احمد بن المعذل المالكي (ت ٢٧٥هـ) - و داود الظاهري (ت ٢٩٢هـ) - و احمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحنفي (ت ٣٢١هـ) - و بكر بن محمد بن العلاء المالكي (ت ٣٤٤هـ) - و علي بن موسي الفقيه القمي الحنفي (ت ٣٥٠هـ) - و أبو بكر الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ) - ثم ابواحسن علي بن محمد الكيا لهراسي الشافعي (ت ٥٠٤هـ). انظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي (١٠٦٧، ١٤١٢)، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون: ١/ ٥٧، بيروت دارالكتب العلمية؛ الداودي، طبقات المفسرين: ١٢/ ٤٤، ٥٥.

اما المغربية: فكان كل مصنفهم لأحكام القرآن من المالكية، أولهم: محمد بن سحنون، عبد السلام (ت ٢٥٦) ثم منذر بن سعيد البلوطي القرطبي (ت ٣٠٣ أو ٢٩٣ أو ٣٥٥ هـ) - ثم ابو محمد القاسم بن اصبع القرطبي (ت ٣٤٠) - احمد بن علي بن احمد بن محمد بن عبدالله الربيعي الباغاني ابوالعباس مقرئ مسجد الجامع بقرطبة (ت ٤٠١) - واحمد بن محمد بن عبد الله المعافري المالكي (ت ٤٢٩ عند الداودي و ٥٤٣ عند الادنوي) ثم ابو محمد مكي بن ابي طالب حموش بن محمد القيسي (ت ٤٣٧هـ) له (مختصر أحكام القرآن) ثم ابو بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن العربي (ت ٥٤٣) ثم عبد النعم بن محمد بن فراس الغرناطي (ت ٥٩٧) ثم محمد بن احمد بن فرح القرطبي الانصاري (ت ٦٧١هـ) وكأنه أراد جمعها بجمعها في تفسيره الذي سماه (الجامع لأحكام القرآن..). انظر: الادنوي، احمد بن محمد ١٩٩٧، تح: سليمان بن صالح الحزري، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكمة؛ طبقات المفسرين / و: المقرئ، احمد بن محمد، ١٩٨٨، نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب: ٢٢/٢ و ١٦٩/٤.

١. انظر: المشيني، مصطفى، المدرسة التفسيرية الاندلسية، ١٩٨٦، بيروت، مؤسسة الرسالة؛ طهوني، محمد رزق، التفسير والمفسرون في غرب افريقيا؛ ١٤٢٦هـ، ط-١، السعودية، الدمام، دارابن الجوزي  
٢. انظر: القضي زلط، القرطبي ومنهجه في التفسير - الفهرت، يوسف عبد الرحمن، القرطبي المفسر، سيرة ومنهجه؛ لبعم، مفتاح السنوسي، القرطبي وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير

كاظم قاضي زاده، صادق آيينهوند، رضيه رجب طهمازي

سماوي يواجهون على اساسه حملة الكتاب السماوي من أصحاب المناصب الحكومية، ويضمن حقوقهم و ينقلهم من الطبقية و العبودية.

لأسباب، نحي الائمة من ذرية الرسول (ص) عن الخلافة و أقصوا عن الساحة السياسية بالنهي عن ذكر فضائلهم و مناقبهم و إبعاد المسلمين عن التفسير الروائي و ذكر أسباب التزول لطمس الحقائق المتعلقة بهم و بالعدول من الصحابة، مما فسح المجال لترويج القراءات القرآنية و الفقه و شغل المسلمون العامة عن مدارس القرآن و الحديث الى فترة متأخرة، خاصة في الشام و الاندلس، في حين كان الخاصة من أتباع ال البيت (ع) في العراق و الحجاز يتداولون تفاسير ائمتهم الذين اخذوها عن جدهم رسول الله (ص) و من بعده الامام علي بن ابي طالب صدر المفسرين و الذي دونها تلاميذه اولهم عبدالله بن عباس الذي تجرد للأمر و كمله و تبعه العلماء على ذلك كمجاهد و سعيد بن جبير وغيرهما<sup>٥</sup>.

دعي القراء من الصحابة و التابعين بلهجاتهم القرآنية، الى شمال افريقيا لتعليم القرآن، و دخلوا الاندلس مع جيش الفتح و انتشروا في المساجد التي اهتمت الحكومة الاموية بإعمارها ثم أدخل التابعون مصحف عثمان الحالي من النقط و الشكل .

سارع الاندلسيون، كغيرهم من المسلمين، لتعلم القرآن على اختلاف حروفه و معانيه و غريبه و مشكله على اولئك القراء، فكثرت الفقهاء و علماء القراءات و راحوا يصنفون و يؤلفون تفاسير مستندين إليها، مما أدى الى ظهور مذاهب و تيارات مختلفة؛ راح علماء كل فريق يفسر ما يعزز مذهبه و

متنافسة؛ بينما في الاندلس المالكية فأثما لم تفتأ تتجاذب (أحكام القرآن)<sup>١</sup> حتى القرن السابع، مما يثير التساؤل عن العوامل و الاسباب المؤدية لذلك، وهذا ما لم نجد العرض له بصورة جذرية و تاريخية<sup>٢</sup>، الامر الذي شجعنا على تقديم مانأمله لسد هذه الثغرة و التذكير بعائدها السليبي على الأمة. من البديهي أن دراسة كهذه تستوجب مراجعة المصادر التاريخية<sup>٣</sup> و التفسيرية ذات الصلة بالظروف الزمانية و المكانية لهذه البقعة، بمنهج تاريخي - وصفي يميل الى الاستنباط النقدي احيانا بهدف كشف العوامل الدخيلة في توجيه المدرسة التفسيرية الاندلسية نحو الفقه.

كانت الاندلس مسيحية تابعة للامبراطورية الرومانية الارستقراطية و كانت تحت القوط، فعادوا الى عبادة الاوثان لإهمالهم و استعبادهم و كانوا من الأذنين ، مما جعلهم يستقبلون الاسلام برحابة صدر لحاجتهم الى كتاب

١ . ظهر لكل مذهب تأليف واحد تحت هذا العنوان و احيانا اثنين، اما المالكية و حدهم، و خصوصا في الاندلس فقد ظهرت لهم في المشرق مالا يقل عن اثنين، و في المغرب مالا يقل عن تسعة، وقد ختمها القرطبي بـ ( الجامع لأحكام القرآن ..).

٢ . انظر: محمدرزق طرهوري: ٥٣٢/٢، لا يشير بأية اشارة الى دور الحكومات و الولاة، بل يقتصر على ذكر ثلاث عوامل: اجتماعية و فقهية فكرية غاضا النظر عن الاسباب التي ادت بظهور او خلق هذه العوامل.

٣ . من أهمها: الكامل في التاريخ لابن الاثير، البداية و النهاية لابن كثير و الديباج المذهب لابن فرحون المالكي، ١٣٥١، دارالكتب العلمية - الاحاطة في اخبار غرناطة، لسان الدين الخطيب، القاهرة، ١٩٧٣، القاهرة مكتبة الخانجي - البيان المغرب لابن عذارى - رياض النفوس للمالكي - تاريخ علماء الاندلس - الموسوعة العامة لتاريخ المغرب لزيب نجيب - الحضارة المغربية للحسن السائح - مقدمة ابن خلدون - نفع الطيب للمقري التلمساني - كشف الظنون لحاجي خليفة - تواريخ الادب العربي لـ : بروكلمان ، و عمر فروخ، و تواريخ الاسلام للمؤرخين المعاصرين امثال : حسن ابراهيم حسن و عبدالعزيز سالم و احمد مختار العبادي و رسول جعفریان و محمود البستاني و محمد فتحي عثمان و احسان عباس و ...

٤ . التفسير و المفسرون للذهبي، و التفسير و المفسرون ، محمد هادي معرفت

٥ . انظر: ابن عطية ، المحرر الوجيز: ١٨/١

ينافس به غيره في الظهور، مما دفع التفسير نحو الاتجاه الفقهي، فصار في البدء مفرقاً للمذاهب و باعثاً على صراعها- ثم صار مؤلفاً لشمولها بعد فتح باب الاجتهاد و إنهاء التقليد- ولكن على غيرها من المذاهب الاسلامية.

تأخرت الحركة التفسيرية في الاندلس، حيث برزت بواكيرها في القرن الثالث، وكان قد فرض عليهم المذهب المالكي الحديثي السلفي، فمما و ترعرع التفسير في عهد المرابطين السلفيين، و بلغ أشده على يد الشيخ ابن عطية في عصر الموحدون الدينية ثم نضج في القرن السابع بعد أن فتح القرطبي باب الاجتهاد على مصراعيه و جمع شمل المذاهب الاربعة بتفسيره (الجامع لأحكام القرآن...) الذي يمكن اعتباره خاتمة المنحى التفسيري الفقهي.

إن ابرز العوامل التي شجعت السياسة الاموية العنصرية على ظهورها هي: الارادة السياسية الاموية- القراءات القرآنية واثرها على ظهور المذاهب - طبيعة الاندلسيين الاجتماعية و العقيدية- رد الاعتبار الى المذهب السني - و ظهور حكومات دينية سلفية؛ أدت الى اعتبار اختلاف القراءات أصلاً و ركناً من أركان التفسير الفقهي، فبذلك ظهرت مذاهب و نحل متصارعة آلت الى تصدع الامة و تشتتها الى يومنا هذا، حيث اتخذ الكفار و أعداء الاسلام ذلك ذريعة لهم في حربهم ضد الاسلام و المسلمين لتصدع صفهم بهدف القضاء عليهم و إبادتهم "يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون".

إن النتائج كالحادث لم يكن وليد ساعة، انما هو محاض عن سلسلة من المراحل و الاحداث بعواملها، اجتمعت في بحر الزمن المتلاطم، ثم أُلقيَ بها الى الساحل، و صار في متناول الاجيال المتعاقبة، وعليه، لا بد من إجمالة النظر في

المصادر التاريخية واستنطاقها لبيان العوامل المؤثرة، والتي بدت لنا كما يأتي:

#### ١- الارادة السياسية الأموية

لأسباب، نحي الائمة من ذرية الرسول (ص) عن الخلافة و أقصوا عن الساحة السياسية بالنهي عن ذكر مناقبهم<sup>١</sup>، مما أدى الى حدوث شرخ عظيم على الصعيدين الديني و الثقافي، عمل الامويون على سدّه باختيار علماء و فقهاء على صلة طيبة بالخليفة من الشام و الجزيرة للمشاركة في التربية بتعليم القرآن و الفقه في الجوامع داخل و خارج بلادهم. و اختاروا من بينهم أيضاً رجال البلاط و كبار موظفي الدولة في مجالات الادارة المدنية و الجيش؛ فكان هؤلاء العلماء و الفقهاء من الصحابة و التابعين يديرون الكتابات و المساجد في الامصار المفتوحة لتعليم الجند الذين يشكلون غالبية المسلمين في عهدهم، و أبناء العامة من تلك الامصار القراءات القرآنية و الكتابة؛ و تعليم أبناء الخلفاء و خاصتهم تربية واسعة تضم دراسة الدين و اللغة و الادب و العلوم و الفنون و الفروسية و قواعد السلوك، ما يؤهلهم للوظائف الجليلة التي يتوقع منهم أن يشغلوها<sup>٢</sup>. و شجع الخلفاء الامويون القراءات القرآنية بمكافئة مقرئيهها جوائز ثمينة<sup>٣</sup>.

السياسة الاموية السالفة الذكر أدت الى استغراق المسلمين و انشغالهم بالقراءات القرآنية<sup>٤</sup> و حالت دون فهم

١. انظر: ملكة أبيض، التربية الثقافية.../١٣٥، ٩٨-٩٩ بتصرف

٢. انظر: م.ن/٣٦٨، ٣٧٣، ٣٦٩، ٩٥، ١٠٨، ١٠٩، ٢٦٠-٢٦١ بتصرف

٣. م.ن/١٢٤ عن: ابن عبد ربه، العقد الفريد: ١٦٠/٥-١٦١؛ وانظر: ابن

كثير، البداية و النهاية: ٢٠١/٩

٤. ذكر ابن خلدون ان سبب اقتصار المغاربة على حفظ القرآن باختلاف قراءاته فقط في تعليم صبيانهم هو: لتلا يخلطوا ذلك بسواه في شئ من مجالس تعليمهم. انظر: المقدمة: ٣٤٢/١. و يؤيد ذلك واقعهم، حيث لازالت، و بعد مرور قرون،

كاظم قاضي زاده، صادق آيينهوند، رضيه رجب طهمازي

بحديث المبارزة فيقول: قال رجل من قريش. وكان عبد الرحمن بن ابي ليلى يقول: حدثني رجل من اصحاب رسول الله. وكان الحسن البصري يقول: قال أبو زينب.<sup>٤</sup>

لم يكتف معاوية بذلك، بل قاد بنفسه الصراعات التي أثارها في خلافة الامام علي (ع) والتي أدت الى تصدع الجماعة العقيدية بسبب مخالفت القاعدةين و الناكثين والقاسطين و المارقين، و إحلال (الجماعة السياسية) محلها.<sup>٥</sup>

استمال معاوية العثمانية<sup>٦</sup>، و حتى بعض ثقات الامام علي<sup>٧</sup> بثروة بيت مال المسلمين<sup>٨</sup>، وقوى مركزهم بتقربهم الى مجالسه و أكرمهم بالصلوات و المهام، فتأسس مذهب العثمانية<sup>٩</sup>، الذي كان يعرف بمذهب النابتة<sup>١٠</sup> والنواصب<sup>١١</sup>؛ و صاروا يأمرن و ينهون وفق مراميه

القرآن العميق الذي يستند الى التفسير الروائي النابع عن مدرسة اهل البيت و العدول من الصحابة<sup>١</sup>.

لتبيين الجو الذي سادته الأمويون، نقل الرواية الاتية، سواء كانت صحيحة ام لا، فأنها تعكس امرا واحدا وهو إشتغال المسلمين بالقراءات و تأخر التفسير في الامصار التي كانت تحت سلطتهم المباشرة، كالشام و الاندلس<sup>٢</sup>.

الرواية تتضمن حواراً بين معاوية بن ابي سفيان و ابن عباس (رض) الذي دعا له النبي (ص) أن يفقهه في الدين و يعلمه التأويل، و تحقق له ذلك بتلمذه على الامام علي بن ابي طالب<sup>٣</sup>.

" وقال معاوية لابن عباس : إنا كتبنا في الافاق نهي عن ذكر مناقب علي، فكف لسانك. قال: أفنتهاننا عن قراءة القرآن؟ قال: لا، قال: أفنتهاننا عن تأويله؟ قال: نعم. قال: أفنقرأ ولا نسأل؟ قال [معاوية]: سل عن غير أهل بيتك؛ قال: أنه منزل علينا، أنفسأل غيرها، أفنتهاننا أن نعبد الله؟ فإذا تملك الأمة. قال: اقرأوا ولا ترووا ما أنزل الله فيكم. ثم نادى: أن برئت الذمة ممن روي حديثنا عن مناقب علي حتى قال عبدالله بن شداد الليثي: وددت أن أترك أن أحدث بفضائل علي بن ابي طالب يوماً الى الليل وإن عنقي ضربت. فكان المحدث بحديث في الفقه او يأتي

٤. ابن شهر آشوب : مناقب آل ابي طالب، ١٣٦٧ : ١٧٤/٢؛ النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية

٥. انظر: رسول جعفریان، تاريخ تحول دولت و خلافت / ١٦٠-١٦١؛ و انظر: ملكة أبيض، السابق/

٦. العثمانية: كتلة عقائدية فكرية ظهرت بعد مقتل الخليفة عثمان، اقتصررت آراؤها على شخص عثمان دون أسرته و بين امية؛ و لم يكونوا حزبا. ومنهم في اليمن بايعوا لعلي. انظر: احمد صالح العلي، الكوفة و أهلها، ٤٩٣/٠، ٤٩٧، و كانوا يعتقدون بتفضيله و القول بمظلوميته. ابن العربي العواصم من القواصم، قاصمة ص ٢٤٤، دار الجبل، دون تاريخ؛ ولكن بسياسة الامويين السالفة الذكر، و بعد مقتل محمد بن ابي بكر طالبوا بدم عثمان. انظر: احمد صالح العلي، السابق/٤٩٤؛ التفقي، الغارات: ٣٧٨-٣٨٤، ٣٧٩؛ و انظر: الجاحظ، العثمانية/٢٠٤ و المسعودي، التنبيه و الاشراف / ٢٩١؛ البلاذري، انساب الاشراف: ٤٥٣.

٧. نصر بن مزاحم، وقعة صفين/٤٣٤

٨. انظر: البلاذري، انساب الاشراف: ٣٨٣ و ٤٥٣؛ سيد قطب، العدالة الاجتماعية/١٥٩، ١٦١، ١٦٨

٩. انظر: ابن ابي الحديد، شرح نوح البلاغة/٣، ١٥٣؛ العلي، السابق/٤٩٦

١٠. النابتة: جماعة ظهرت بعد مقتل عثمان، يعتقدون بالنسب و الجبر، يزهون معاوية و ابنه يزيد و يكفرون من يجوز لعنهم، و ينكرون خلق القرآن و يكفرون القائلين به. انظر: رسالة الجاحظ السياسية/١٤، ١٢، ١١، ١٥.

١١. انظر: رسول جعفریان، السابق/١٥٩. كان اهل الشام نواصب انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال: ١٣٨، ج١/ص٧٦، بيروت، دار المعرفة

فئة عريضة من المغاربة، خصوصا في البوادي، تمتنع عن قراءة غير القرآن مخالفة ان يشغلهم ذلك عنه و عن حفظه. و يعدد دواعي اهتمام المغاربة بالقراءات، قديما و حديثا، و يعزي تلك الدواعي الى انها جوهرية و غيرها، يمكن للقارئ أن يشتم منها راحة السياسة المفروضة على المغاربة في تشجيعهم للقراءات انظر: ابراهيم الوافي، القراءات في ...../ص١٥ و ٣١-٣٨

١. انظر: ملكة أبيض، السابق/٩٩: تبرير المؤلفه منع تدوين الحديث و النهي عن ذكر أحاديث الرسول الاكرم (ص)

٢. انظر: م. ن/صص ٢٧٦-٢٧٧ بتصرف

٣. انظر: مسند احمد بن حنبل: ١/٢٦٦،

إن تصدع الصف الاسلامي، و تشتت جمعه و تعدد فرقه كان من أبرز نتائج تلك السياسة، و أشدها وقعا و المآ على المجتمع الاسلامي والمسلمين.

## ٢- القراءات القرآنية و الفقه و أثره في ظهور المذاهب

إن تغيير السنة النبوية الشريفة بمنع تدوينها، و إقصاء المسلمين عن أهل بيت النبوة؛ و وجود مصحف عثمان الخالي من النقط و الشكل و المزعوم باحتماله لأوجه القراءات، مهد الأرضية لتوجيه المسلمين الى تعلم القرآن على اختلاف قراءاته، التي يظهر معها الاختلاف في الاحكام<sup>٨</sup> و يستتلي الحاجة الى فقهاء لبيانها؛ فكثر الفقهاء و تدخلوا في شؤون الدولة، فأثروا على تماسك المسلمين و وحدة أراضيهم<sup>٩</sup>.

كانت أول مجموعة أعلنت رضاها بقبول التحكيم هي مجموعة القراء في الكوفة، و أظهروا عدم استسلامهم لأوامر علي بن ابي طالب دون أن يعلنوا خلع خلافته، و عادوا منفصلين، فأغدق عليهم المصعب، و كانت جماعات اخرى من القراء في الشام و البصرة تجمعهم سمات مشتركة و أسس تنظيم واحدة<sup>١٠</sup>، و كانوا مستقلين إقليميا. أما مجموعة الشام<sup>١١</sup>، فقد وُجّهت اتجاهات معينة و أقاموا

و تحقيق أهدافه<sup>١</sup>، فدجمهم مع حزبه لتعزيز جبهته، و ثبت حكمه بهم<sup>٢</sup>، ثم عاد و استتر بهم بالمطالبة بدم عثمان، حتى أعلن ولايته على البصرة و إجهاره العدا لعلي و شيعة، بقوله: "أهل البصرة لنا و لعلي و شيعة عدوا"<sup>٣</sup>.

ظهر ، نتيجة هذه السياسة، اتجاهان متضادان و مختلفان كما و كيفاً في سعة انتشاره في البلاد الاسلامية ، وهما كما يأتي:

١- التشيع الذي انتشر في العراق، و سمي الاتجاه الشيعي او العلوي، و الذي يكون أضعف مراتبه رفض عثمان و تأييد خلافة الامام علي؛ و أكمل مراتبه إثبات إمامة عليّ ابن ابي طالب بعد النبي (ص) و تفضيله على الخلفاء.

٢- الاتجاه العثماني المغالي الذي تبلور بعد معركتي الجمل و صفين، و اندحر في الاول و بقيت آثاره في البصرة و اشتهر أهلها بـ (العثمانية)<sup>٤</sup>، و كان معاوية يتباهي بهم<sup>٥</sup>. و كان الغلبة لهذا الاتجاه في العهد الاموي، و حكم العراق<sup>٦</sup>، و صاروا يقعون في علي بن ابي طالب و يثبطون الناس عن الحسين<sup>٧</sup>.

١. انظر: البلاذري، انساب الاشراف: ٤٢٥

٢. انظر: العلي، السابق/٤٩٦ بتصرف

٣. انظر: ابن العربي، العواصم من القواصم، قاصمة ص ٢٤٤ بتصرف؛ البلاذري، انساب الاشراف: ٤٢١، ٤٢٥، ٢٩٧، ٤٥٣؛ الثقفى، الغارات ٣٧٧/٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣٣٣/٦.

٤. انظر: ابن سعد، السابق: ٣٣٣/٦، البلاذري، الانساب: ٤٢١؛ الثقفى، الغارات ٣٧٧/٢، احمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي ٢٢/، بيروت، دار النهضة العربية.

٥. انظر: الثقفى، الغارات: ٣٧٧/٢.

٦. جعفریان، السابق/١٦٣.

٧. انظر: احمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، ١٣٧٩، ٣٧٨/٢ القاهرة، مكتبة النهضة؛ تاريخ الطبري: ٥/٢٣؛ البلاذري، انساب الاشراف: ٢٣٣

٨. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، الاتقان في علوم القرآن، ١٩٧٣، ١٨٠/١، بيروت، المكتبة الثقافية

٩. انظر: حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام... ٤/٥٤٠؛ و نجيب زيبب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الاندلس: ٣٧٢/٢؛ و الذنون، افاق غرناطة/١١٥ و زيبب، السابق: ٤٠٤-٤٠٥؛ و انظر: ملكة أبيض، السابق/١٢٨ عن: فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية /صص ٢٥٦-٢٥٨، عن الطبري: ١٣٤٠/٢ فما بعد

١٠. يقصد بها رابطة الاتجاه العثماني. انظر: العلي، السابق/٤٩٣، ٤٩٤

١١. عرفوا بالنصب للإمام علي و كانوا شيعة معاوية. انظر: السدي، ميزان الاعتدال: ٧٦/١

الذي هو أصل العلوم، و صارت هذه الطريقة التي يعلم بها صبيانهم<sup>٩</sup>.

يقول عمر فروخ: "لقد قرأ أهل الاندلس القرآن على اختلاف قراءاته التي وصلتهم دون أن يلقوا بالاً الى تعليقات أو شروح حتى جاء عهد مجاهد العامري (ت ٤٣٦هـ) مولي عبد الرحمن الناصر، او المنصور بن ابي عامر (ت ٣٩٢هـ) الذي حرص على تعليمه القراءة على ائمة القراء<sup>١٠</sup>. و برز علم القراءات و نفقت في عهده سوقها<sup>١١</sup>، و شغل المسلمون بهذا العلم حتى صار يكفر من قرأ سواها، فتدخلت الحكومة علي أثرها و اضطهدت بعض اصحاب القراءات غير السبع<sup>١٢</sup>.

أسلفنا ان اختلاف القراءات يستتليه اختلاف الاحكام ثم الحاجة الى فقهاء<sup>١٣</sup> و علماء متمكنين، وعليه، اتسعت دراسة الفقه في القرنين الثالث و الرابع مع تطور القراءات و تبلورها في الاندلس و المغرب<sup>١٤</sup> بتشجيع الخلفاء الامويين

حججهم على القرآن<sup>١</sup> و كانوا في صفين في ميمنة أهل الشام مع جيش معاوية وعددهم أربعة آلاف و لحق عدد منهم بعلي<sup>٢</sup>.

مما تقدم، صار القراء من الصحابة و التابعية الى فريقين، انضم أحدهم الى الجانب الاموي و الاخر الى الجانب العلوي، و بهذه الصفات دخلوا مع جيوش الفتوحات الاسلامية الى شمال افريقيا و الاندلس، و انتشروا في مساجدها لتعليم المسلمين الجدد قراءة القرآن و معانيه و الفقه<sup>٣</sup>.

انجذب الاندلسيون الى المساجد و اهتموا بتعلم القرآن باختلاف حروفه<sup>٤</sup> على اولئك الصحابة الذين كان لبعضهم مصاحف خاصة<sup>٥</sup> و التابعين الذين انتدبتهم الحكومة الاموية الفاتحة<sup>٦</sup>، ثم أدخل التابعون مصحف عثمان<sup>٧</sup> الخالي من النقط و الشكل و المزعوم باحتماله لأوجه القراءات<sup>٨</sup> و انشغلوا به، مما أبعدهم عن مدارس القرآن و الحديث

٩. انظر: تاريخ ابن خلدون: ٥٣٩/١ - ٥٤٠ و اعترض ابن العربي على هذه الطريقة و ايصانه بعدم الخلط في التعليم، بل تعليم الصبي اولا الكتابة و الشعر العربي و الاعراف ثم حفظ القرآن و اصول سنن الرسول. ويمكن حمل هذا على انه دافع يؤول الى تحقيق هدف سياسي.

١٠. نشأ ابن مجاهد في قرطبة و نزل دانية، فجمع القراءات على سبع قراء بثلاثة شروط، و فتح الباب لعلماء هذا الفن و شجعهم و أكرم و فادتهم، فبرز أهل الاندلس في هذا الفن و صاروا قبلة العالم الاسلامي في القراءات، و أصبحت دانية قبلة القراء. انظر: المرعشي، فهارس الجامع لأحكام القرآن: ٣٩/١ - ٤٠.

١١. تاريخ الادب العربي: ١٨٠/٤

١٢. ابن خلدون، المقدمة: ١/ ٤٣٧

١٣. آدم متسر، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع/٣٢٢-٣٢٣ بتصرف

١٤. كان الصحابة إذا عرضت لهم مسألة يحاولون إيجاد حلها من الكتاب او السنة، فأن وجدوا أجابوا و أن لم يجدوا عملوا برأيهم و أحيانا كان منهم من يفتي في المسألة بالرأي مع وجود النص الصريح فيها. اقا بزرگ تهراني، تاريخ حصر الاجتهاد: ٢٠ عن: الانصاف في بيان سبب الاختلاف. و م.ن/٢١ عن: النص و الاجتهاد. و انظر: محمد فريد وجددي، دائرة معارف القرن العشرين: ٢١٢/٣

١٥. عمر فروخ، السابق: ١٨١/٤ بتصرف

١. اعتمد الشاميون على مصحف عثمان الذي وصل إليهم مع المغيرة بنشهاب المخزومي (ت ٩١هـ) و استمروا في قراءته على تلميذه عبدالله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨هـ) قارئ الجند في عهد عبدالملك بن مروان و رئيس اهل المسجد في عهد الوليد بن عبدالملك، فنشر تلك القراءة العثمانية التي سميت بالقراءة الشامية. ملكة أبيض، السابق/ ٨٧، ٢٧٢

٢. العلي، السابق/ ٤٦٦، ٥١٦؛ و انظر: ملكة أبيض، السابق/ ٨٧

٣. انظر: ابن خلدون، تاريخ... ١١٠/٦: أنزل موسى بن نصير الي المغرب مع جيش طارق و أمرهم أن يعلموا البربر القرآن و الفقه. و انظر: الطرهوني، التفسير و المفسرون في غرب افريقيه: ٥٤١/٢ - ٥٤٢

٤. المقرئ، نفع الطيب في... ٢٠٦/٢

٥. الطرهوني، السابق: ٥٤١/٢ عن: القراءات بأفريقية/ ٩٧، ١٢١

٦. انظر: تاريخ ابن خلدون: ١١٠/٦ و المالكي، رياض النفوس ١/ ٧٧، ٧٨، ٨٠

٧. ابن عذاري، البيان المغرب ١/ ٤٨، زبيد، الموسوعة: ١١١/٢

٨. انظر: المقرئ، نفع الطيب: ١/

٩. الزرقاني، محمدعبدالعظيم، مناهل العرفان، ١٩٩٦، ط-١: ٢٦٧، بيروت، دارالفكر

الذين اختاروا لهم المذهب المالكي، فتخرجت طبقة من الفقهاء، فتحو لهم أبواب العمل في دوائر الدولة و مساجدها و أسندت إليهم الوظائف الهامة و إمامة المساجد و الخطب فيها؛ وقد عين هشام بن عبد الرحمن يحيى بن يحيى قاضيا و حوله صلاحية تولية القضاء في أقطار الاندلس، فكان لايتولي القضاء إلا بمشورته<sup>١</sup>.

إن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض في اختلاف القراءات<sup>٢</sup> أدى الى ظهور مذاهب و تيارات فقهية<sup>٣</sup> متنافسة، راح فقهاء كل منها يفسر الأحاديث المجموعة لاستنباط الأحكام<sup>٤</sup>، مستندا الى القراءات و ما جمعه أئمتهم من أحاديث بما يعزز مذهبه و يضعف المذاهب، بل تعداه الى الخصومات و إيقاع الفتنة و الضرب حتى الموت، وكان للمتكلمين و الشيعة بالخصوص الحظ الأوفى<sup>٥</sup>.

بدأت تلك التفاسير بالظهور تحت عنوان (أحكام القرآن)<sup>٦</sup> في القرن الثالث الهجري، حيث صار فيه للفقهاء رونق و وجاهة<sup>٧</sup>.

تأخر الاندلسيون المالكية عن غيرهم من المذاهب المشرقية في تفسير القرآن<sup>٨</sup>، و خاصة في بيان أحكامه

بتأليف (أحكام القرآن) كما تأخروا في علوم الحديث<sup>٩</sup>؛ لتبعيتهم السياسية و العقيدية و الفكرية للحكومة الاموية في الشام، في الوقت الذي كان فيه الخاصة من أتباع البيت في العراق و الحجاز يتداولون تفاسير أئمتهم الذين أخذوها عن جدهم الذي انزل الله تعالي عليه الذكر الحكيم و فرض عليه تفسيره و تبيينه للناس<sup>١٠</sup> منذ بدء نزوله، و ليقوم الناس بدورهم بتعاهده و التدبر فيه وهكذا بدأت نشأة التفسير منذ عهد الرسالة و من بعده الصحابة و التابعون لهم بإحسان<sup>١١</sup> و قد كان الامام علي بن ابي طالب صدر المفسرين و المؤيد فيهم و أخذ تلميذه عبدالله بن عباس التفسير عنه و كان الامام يحث على الاخذ عنه<sup>١٢</sup> لما رأى من ضغوط الامويين و قسوتهم في محاصرته و من ثم إقصائه عن الساحة السياسية و إبعاد الامة عنه ترغيبا و ترهيبا، فقدم تلاميذه و كذلك فعل الائمة من ولده، فظهرت تفاسير عنهم كتفسير أبي حمزة الثمالي صاحب الامام السجاد و الراوي عنه تفسيره<sup>١٣</sup>، و مجاهد و سعيد بن جبير و غيرهم و كلهم اخذوا عن ابن عباس الذي قال: " ماأخذت من تفسير القران فعن علي بن ابي طالب"<sup>١٤</sup>.

أما الاندلسيون الذين كانوا في قبضة الامويين فقد شغلوا بالقراءات القرآنية و معاني ألفاظه، بحجة غياب مصحف جامع يرجعون إليه و يحتكمون فيما نشأ بينهم

١. ابن خلدون، السابق: ١/٤٤٩

٢. السيوطي، الاتقان: ١٨٢/٢: بتعبيره: عند تعاذب المعنى و الاعراب، و ترجيح احدهما على الآخر.

٣. كان أبرزها الثلاثة للائمة: مالك بن انس و الشافعي و أبي حنيفة، ثم المذهب الظاهري الذي زال و حل محله الحنبلي. تاريخ ابن خلدون ١/٤٤٦، ٤٤٨؛ و

انظر: حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام... ٤/٤٥٠

٤. انظر: محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية/ ١٥ في تعريفه لأحد معاني الفقه

٥. انظر: آدم متر، السابق/ ٣٥٢، ٣٥٠، ٣١٣؛ المقرئ، السابق: ٢/٣٩-٤٠؛

الداوودي، طبقات المفسرين/ ١١٨؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ ٨/٢٢٩-

٢٣٠؛ شهاب الدين المقدسي، عبد الرحمن بن اسماعيل، تراجم رجال القرنين

السادس و السابع/ ٤٦-٤٧، بيروت ط ١٩٧٤، بيروت، دار الجبل

٦. في المشرق: انظر هامش ص ٢

٧. المقرئ، السابق: ١/٢٢١ تحم: احسان عباس

٨. راجع هامش ص ٢

٩. انظر: عمر فروخ، السابق: ٤/١٨١

١٠. قال الله تعالي مخاطبا لنبيه (ص): " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس " سورة

النحل/ ٤٤

١١. محمد هادي معرفت، مقدمة تفسير ابي حمزة الثمالي / ٦

١٢. ابن عطية، المحرر الوجيز: ١/١٨

١٣. محمد هادي معرفت، السابق/ ٥

١٤. ابن عطية، السابق: ١/١٨



كاظم قاضي زاده، صادق آيينهوند، رضيه رجب طهمازي

ظهرت تفاسير متنوعة بطابع روائي وفقهي كتفسير الامام الباقر محمد بن علي برواية ابي الجارود وتفسير سفيان بن عيينة وتفسير الحسن البصري واي بكر الاصم من المتكلمين و لغوية في معاني القران و نحوية وكلامية ثم في غريب القران وفي القراءات ثم ظهرت كتب في (احكام القران) لأهل العراق في حين كان أهل الشام يؤلفون في عدد آي القرآن<sup>١</sup> مما دفع رحيل كثير من الاعلام وذوي العقول الراحجة و الاحلام في المغرب الاندلس الى بلاد المشرق<sup>٩</sup>.

### ٣- طبيعة المجتمع الأندلسي أ- الاجتماعية

رحب الاندلسيون بجيش الفتح الاسلامي وأسرعوا بالدخول في الدين الاسلامي أملاً بإنقاذهم من تعسف وظلم وعبودية الإمبراطورية الرومانية<sup>١٠</sup>، لكنهم صدموا بالتمييز العنصري الاموي، مما دفعهم الى الالتفاف حول علمائهم و فقهاءهم و مطالبتهم في تعيين أمورهم الدينية، فظهرت التفاسير الاجتهادية.

تخبرنا المصادر التاريخية بأن اسبانيا-الاندلس- كانت مسيحية تابعة للإمبراطورية الرومانية، لكنها عادت للوثنية<sup>١١</sup> لإهمالها من قبل القوط، وكانت تعاني من الارهاب و الظلم و العبودية، مما يسر دخول جيش الفتح

من خلاف، و تفرق القراء من الصحابة في الامصار و الاقاليم و إقرائهم المسلمين هناك بما يعرفونه من الحروف القرآنية<sup>١</sup>. و قد استمروا على تلك الحالة حتى القرن الثالث الهجري، حيث ظهر فيه محمد بن سحنون عبد السلام (ت ٢٥٦هـ)<sup>٢</sup> و بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي الاندلسي (ت ٢٧٦هـ) بتفسيره الواقع في سبعين جزءاً<sup>٣</sup>؛ و تبعه ظهور تفاسير لأئمة الإقراء مستندة الى القراءات، أمثال أبو العباس احمد بن عمار بن ابي العباس المهدي التونسي (ت ٤٣١هـ) في تفسيره (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل)<sup>٤</sup>، و مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧)، اما الدراسات الكلامية فقد كانت في موضع الجمود والذي كان يشتبهها الكثير حتى جاء الموحدون<sup>٥</sup> و الفقه لم يزل على المنهج السلفي و الفلسفة و التصوف محاربان من قبل المرابطين و الادب لم يلق تشجيعاً كذلك الذي في عهد الطوائف، في هذا العصر توجه جماعة من المغرب و الاندلس الى العلم و الثقافة<sup>٦</sup>، في حين كان المشرق الاسلامي يسير باتجاه التحدد و التوسع نتيجة المناظرات الدائرة بين ائمة اهل البيت و تلاميذهم و علماء زمانهم و صار بموج بالافكار و التيارات المختلفة<sup>٧</sup>، و كانت قد

١. انظر: مصطفى المشيني، دراسة التفسير في الاندلس/٢٤٦

٢. انظر: الداودي، طبقات المفسرين/

٣. انظر: المشيني، السابق/٢٤٦ عن: الحميدي، جذوة المقتبس/٣٥١؛ الضبي، بغية الممتس/٤٦٩؛ ابن بشكوال، ٤٣١/٢؛ و انظر: الزركلي، الاعلام: ٦٠/٢؛

الداودي، السابق: ١/١١٦

٤. انظر: الطرهوري، السابق: ٢/

٥. عبد العزيز سالم، المغرب الكبير: ٧٤٤/٢

٦. عمر فروخ، تاريخ الادب العربي: ٥٤٤/٤ و ٥٤٩

٧. انظر: نجيب زيبب، الموسوعة: ٣٣/٢ بتصرف

٨. انظر التفاصيل في: محمد بن اسحاق الندم، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد بي تا

٩. انظر: المقرئ، نصح الطيب: ٢/صص ٢١٠-٥

١٠. انظر: سالم عبدالعزيز، تاريخ المسلمين.. ١٢٨/٠ عن: حسين مونس، فجر

الاندلس/٤٣٠

١١. ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ٥٥٨/٤

بن علي بن أبي طالب<sup>٨</sup>، ومنهم بنو حمود و ملوك الاندلس بعد انتشار ملك بني أمية<sup>٩</sup>.

وقال ابن سعد: أما بنو أمية فمنهم خلفاء الاندلس، وكانوا يعرفون بالقرشيين، إنما عمّوا نسبتهم الى أمية في الاخر لما انحرف الناس عنهم، وذكروا أفعالهم في الحسين (رض)<sup>١٠</sup>.

لقد وزّعت هذه القبائل على المناطق وفق إرادة الحكومة الاموية، فاستقر عدد كبير من مواليهم وحنودهم الاوفياء، اضافة الى القوات العربية التي شاركت في فتح الاندلس من عرب الشام التي تعتمد عليهم الحكومة، استقروا في مدن وحواضر الاندلس خاصة قرطبة عاصمة الامويين<sup>١١</sup>، لمعادلة مخالفي الدولة من قبائل البرانس الذين قاوموا العرب الفاتحين<sup>١٢</sup>. أما البربر فكان اكثرهم في الثغور مستقلين و منعزلين عن مساكن القبائل العربية<sup>١٣</sup>؛ مما آل الامر الى انقسام المجتمع في الاندلس، كما في جميع أنحاء الدولة الاموية الى طبقات اجتماعية، كانت الطبقة العليا هي طبقة العرب المسلمين وعلى رأسهم أسرة الخليفة والعرب الفاتحون، ويولي هذه الطبقة الموالي، أي المسلمون غير العرب الذين اعتنقوا الاسلام طوعا، لكن الارستقراطية - الاموية - العربية حالت دون تمتعهم بالحقوق الاسلامية،

الاموي<sup>١٤</sup>، واستقبلهم أهلها ودخلوا الاسلام بسرعة خارقة لإقامته على المساواة والاحوة اليمانية والتفضيل والتكريم على أساس التقوي المبين في النصّ الكريم: "انما المؤمنون اخوة.."<sup>١٥</sup> و "...إن أكرمكم عند الله أتقاكم"<sup>١٦</sup>؛ ولكنهم صدموا بسياسة التمييز العنصري و الطائفي للأمويين الفاتحين لبلادهم<sup>١٧</sup> بتقسيم المجتمع الاسلامي الى طبقات متفاوتة في الحقوق والاعتبار<sup>١٨</sup>.

استوطن الاندلس عدد من القبائل العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية ودخلت مع جيوش الفتح، حتى صار الاندلس متحفا للقبائل العربية المهاجرة<sup>١٩</sup>.

قال المقرئ في اصول القبائل المستوطنة في الاندلس: "فتزل بها من جرائيم العرب و ساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم الى أن كان من أمرهم ماكان. فأما العدنانيون فمنهم حنذف ومنهم قريش. وأما بنو هاشم من قريش فمنهم جماعة كلهم من ولد إدريس بن عبدالله بن الحسن

١. انظر المصادر التالية: الكامل في التاريخ، ابن الاثير ٥٨٨/٤؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٧٩٤، ٨٠/١٠؛ دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي ١/٦٥٧؛ موسوعة بلاد المغرب و الاندلس، نجيب زيبب ٦٧/٢؛ الذنون، افاق غرناطة/١٨-٢٢؛ سالم عبدالعزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس/٦٤-٦٦

٢. سورة الحجرات /١٠

٣. سورة الحجرات /١٣

٤. انظر: نجيب زيبب، الموسوعة ٥٧/٢ بتصرف

٥. انظر: ابن خلدون، تاريخ...١٨٨/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٥٢/١ احمد مختار العبادي، في التاريخ...١٤/١؛ زيبب، الموسوعة: ١٠٩، ١١١/٢؛ عبد العزيز سالم، تاريخ... /١٧٣، ١٥٦، ١٥٣، ١٤٩؛ سالم، المغرب الكبير: ٢/٢٩٥، ٣/٢؛ سيد قطب، العدالة الاجتماعية /١٦٧ بتصرف.

٦. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام...٦٢٩/٤؛ وانظر: الطبري، تاريخ الأمم و الملوك: ١٠٣/٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ١٨٢/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب...٤٨/١؛ ابن عبد الحكم، طبعة عبدالمعمر عامر/ ص ٢٨٩؛ السلاوي، الاستقصا...: ١٠٣/١

٧. زيبب، الموسوعة ٢/٢٤٥

٨. نفع الطيب ٢٩٠/١؛ وانظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب/٥١-٥٢

٩. انظر: ابن حزم، جمهرة الانساب ٥٠-٥١؛ في انساب الحموديين

١٠. الطبقات الكبرى: ٢٢٥-٢٢٦ و ٢٣٧

١١. انظر: المقرئ، نفع الطيب...٢٧٤/١؛ عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين.../١٢٠-١٢٢؛ جعفران، مقالات تاريخي ٢٢٤/٣ عن محمود مكّي، التشيع في الاندلس بتصرف.

١٢. انظر: سالم عبد العزيز، المغرب الكبير ١٤٠/٢؛ سالم، تاريخ... /١٦١

١٣. انظر: احسان عباس، عصر سيادة قرطبة/١٥؛ ابن حزم، جمهرة الانساب

٤٦٢ وما بعدها؛ المقرئ، نفع الطيب ١٣٨/١؛ سالم، تاريخ.../١٦٨

كاظم قاضي زاده، صادق آيينهوند، رضية رجب طهمازي

اللاتينية ويتواجد منهم في وسط الجزائر وجنوبها<sup>٤</sup>. قال بعض النسابة: انهم من عرب اليمن<sup>٥</sup>. وقال الكلبي: إن كتامة و صنهاجة ليستا من قبائل البربر، وإنما هما من شعوب اليمانية<sup>٦</sup>.

لقد أسلم البرانس أول الفتح، ثم ارتدوا عند ولاية ابي المهاجر<sup>٧</sup>، مما يثير التساؤل عن السبب؛ الذي سيأتي بيانه و تعليله لاحقا.

٢- البتر: البربر البدو. يتكونون من عدة قبائل، يسكن أغلبهم القرى الصحراوية والمناطق الرعوية، او يتزلون في السهول المرتفعة او المنخفضة وعلى الهضاب التي تمتد من طرابلس الى تازة، كما ينتشرون في أقاليم النخيل الممتدة من غدامس الى السوس الأقصى. وتوجد بطون منهم قرب طرابلس وفي داخل سهول افريقية أشهرها وأكبرها زناتة التي كانت تنزل في المغرب الاوسط وعلى سفوح اوراس<sup>٨</sup>. يجب أن يؤخذ هذا التقسيم على التغليب، لا على الاطلاق<sup>٩</sup>، بل يجب اعتبار كل من قسمي البربر ضمن البدو والمتحضرين<sup>١٠</sup>.

٤. انظر: تاريخ ابن خلدون ٨٩/٦ ؛ احسان عباس ، سيادة قرطبة/١٥ ؛ سالم، المغرب ١٣٥/٢-١٤٠ ؛ زيب ، دولة التشيع/٩٣ عن: ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ/٣٢

٥. تاريخ ابن خلدون ١٣٩/٦

٦. المصدر نفسه : ٩٠/٦

٧. م. ن. ١٠٨/٦

٨. انظر: تاريخ ابن خلدون : ٢/٧ ؛ زيب ، دولة التشيع/٩٢ ؛ سالم ، المغرب ١٣٨/٢-١٣٩

٩. انظر: زيب ، دولة التشيع / ٩٢ عن : سعد زغلول، محاضرات في التاريخ العباسي والاندلسي/٤٩

١٠. انظر: سالم ، المغرب ١٣٦/٢. يرى ابن خلدون: ان زناتة كان من بين احيائها من العز و الظهور، و غلبة في الارض، ولهم عمران و حضارة ومنهم قوم بالصحراء ، تاريخ ابن خلدون ٢/٧

وقد شعروا بالغبن اللاحق بهم في حرمانهم الحصول على العلوم و الفنون بأنواعها بمخالفة الطبقة الأولى، أي الحكام، لتعاليم الاسلام في عدم التفضيل الا بالتقوى<sup>١</sup>.

أدى هذا التقسيم الاجتماعي الناتج عن الخلل في سياسة الامويين العنصرية الى إضعاف البلد الاسلامي وتعرضه الى مهب رياح التقسيم و التفكك ، وشجع الغزاة و الطامعين للهجوم عليه<sup>٢</sup>، مما حفّز و دفع البربر سكان البلاد الاصيلين على الالتفاف حول علمائهم و فقهاءهم<sup>٣</sup> لاستعادة بلادهم بميثته الدينية وكانت حكومة المرابطين المالكية السلفية ثم الموحدون الدينية، التي كثر فيها الفقهاء و برزت أكمل وأشهر تفاسير ( أحكام القرآن ) فيها.

#### ب- العقيدية:

لم يكن البربر، الذين كانوا يشكلون أغلبية جيش الفتح دخلوا بلاد الاندلس، يتمتعون بطبيعة و ظروف اجتماعية و عقائدية مشتركة، مما تركوا آثارا مختلفة على أهالي الاندلس الذين دخلوا اليهم.

لقد قسم المؤرخون البربر، السكان الاصلي لشمال افريقيا، حسب مناطق سكناهم و انتشارهم ، الى مجموعتين:

١- البرانس: وهم البربر الحضري، المتكونة من عدة قبائل أشهرها: صنهاجة و كتامة و اوربة و مصمودة و لمطة. يسكنون في السهول الخصبة والمدن والهضاب المزروعة من جبال الاطلس الكبير ويتصلون بالحضارة القرطاجنية و

١. انظر: زيب ، الموسوعة ١٠٣/٢ ؛ سالم، تاريخ.../١٢٣-١٢٤

٢. انظر: وجدي ، دائرة معارف ... ٦٥٨/١-٦٦٠

٣. انظر: سالم ، تاريخ.../١٧٣

يحتمل أن يبغى بعض المؤرخين - من هذا التقسيم - القول: إن سبب مخالفة زنادة البترية للعرب الفاتحين ومنذ السنين الأولى للفتح ومخالفتها للامويين في الاندلس يعود الى تشابهمهم في البداوة وإن مقاومة البرانس للعرب الفاتحين كونهم متحضرين بالحضارة اللاتينية ومستقرين في المدن؛ إلا انه، ومن النظر الى تلك الحالة من الزاوية العقيدية اضافة الى الناحية الاجتماعية، يبدو أن أموراً مهمة اخرى كانت سبباً لهذه الميول، منها:

١- إن البربر البرانس، لطبيعة ظروفهم الزمكانية و رجوع اصلهم الى اليمانية<sup>١</sup>، قد تأثروا بالمسيحية القائلة بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح (المونوفوستية) وهذه العقيدة ترى أن السيد المسيح(ع) لكونه قائداً روحياً، له طبيعة لاهوتية مضافاً الى طبيعته الناسوتية، لهذا انجذبوا نحو الاسلام و دخلوا فيه بسرعة، لما عرفوا في نبيه الصفات الروحانية<sup>٢</sup> "charismatic" مضافاً الى سلطاته السياسية<sup>٣</sup>، مما يحتم عليهم التوجه الى الفقه و معرفة أحكام دينهم و شريعتهم ليواجهوا بها غير المسلمين من جيرانهم قولاً و عملاً.

٢- يتضح إن هؤلاء البرانس قد دخلوا الاسلام لما رأوا فيه من قيم انسانية، ولكنهم انصدموا بالتمييز العنصري للامويين المروانيين و الحيف عليهم وانشغالهم بالغنائم و سبي نساءهم، ولما لم يُجد نصحهم للولاة و الحكام، اجتمعوا برئاسة صنهاجة التي طلبت منهم لبس الزي البربري

الصنهاجي في دوائر الدولة و معارضة الحكم الاموي والقيام عليهم و طردهم من البلد و مناصرة الادارسة و من بعدهم الفاطميين حباً و تقرباً للرسول الاعظم(ص) و أهل بيته<sup>٤</sup>، و من ثم اقامة دولة المرابطين و بعدها الموحدون الدينية و جمع شمل شعبيهم و لم شتات بلدهم الممزق<sup>٥</sup>.

نجد في قول الاستاذ سالم تأييداً لما ذكر، حيث يقول: "ويستمر تحالف البربر للعرب بعد قيام الدولة الاموية، بينما توالى صنهاجة البرانسة العلويين وهم الحزب المعارض للامويين، فتؤيد ادريس بن عبدالله بن الحسن، و تخدم كتامة البرانسة مصالح الفاطميين ضد الامويين، و تظهر بعد رحيلهم - الفاطميين - على المغرب كله بتأسيس دولة المرابطين ثم دولة الموحدون"<sup>٦</sup>.

إن تلك الاحداث و الظروف قد دفعت أهل البلد الى التحري و التدقيق في مبادئ الاسلام التي تدعو الى وحدة الامة الاسلامية و نبذ العنصرية و الخلاف، مما حتم عليهم التوجه الى الفقه و معرفة أحكام الدين و الشريعة ليواجهوا به السلطة الداخلية و الخارجية -يعني الامويين و الرومان-

#### ٤- رد الاعتبار الى المذهب السني

أدت السياسة المشجعة للإنشغال باختلاف القراءات القرآنية، التي يترجح بها بعض الوجوه المحتملة على بعض<sup>٧</sup>، أدت الى ظهور مذاهب و تيارات متنافسة في ترجيح

٥. انظر: سالم، تاريخ.. ١٧٣/

٦. انظر: العبادي، في التاريخ العباسي... ٢٤٣-٢٤٤؛ زيبب، دولة التشيع/ ٩٣

٧. تاريخ ابن خلدون: ١٠٨/٦، ١١٨-١١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٦/١ و

٥٣؛ سالم، المغرب ٢٩٣/٢ و ٢٩٤ و ٢٩٩؛ الطري، تاريخ الملوك و.. ١٠٣/٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ ١٨٢/٤.

٧. سالم، المغرب الكبير: ١٤٠/٢

٨. السيوطي، الاتقان، ٢٣٢/٢٠.

١. انظر: سالم، المغرب ١٤٠/٢

٢. تاريخ ابن خلدون: ٩٠/٦

٣. يقول عبدالله فياض: «يعتقد الامامية بصورة قاطعة ان [الني] وأئمتهم بشر ولكن معصومون عن الخطأ و الخطيئة و النسيان، و هنا تختلف معهم في هذه العقيدة». انظر: الامامية و أسلافهم من الشيعة / ٦٢

٤. انظر: عبدالله فياض، تاريخ الامامية و أسلافهم من الشيعة/ ٦٢ بتصرف.

كاظم قاضي زاده، صادق آيينه‌وند، رضيه رجب طهمازي

الى مدرستي الرأي والحديث، و اتساع الهوة والشقة بينهما في نهاية هذه الفترة.<sup>٧</sup>

اتخذت مدرسة الرأي الكوفة مركزا لها لبعدها عن المدينة: مركز الحديث و السنة و كان ابوحنيفة أعظم روادها. تميزت بالتشدد في قبول السنة ورفض كثير منها، و الاعتماد على القياس والاستحسان، و صار لها صدى كبيرا في العالم الاسلامي، و كان أبرز من وقف بوجهها وزيّفها أئمة أهل البيت (ع)، اذ أنهم كانوا يرفضون العلم بالرأي والقياس.<sup>٨</sup>

اما مدرسة الحديث فمن مظاهرها الاعتماد على القرآن و السنة فقط و رفض القياس و الاستحسان و كان مالك من المسارعين و الدعاة الى هذه المدرسة، لكنه عمل بالرأي ايضا، ثم تم تشييدها بيد داود بن علي الظاهري<sup>٩</sup>. أما باقي الائمة الاربعة، أي الشافعي و ابن حنبل فكانوا جدا وسطا بين هاتين المدرستين<sup>١٠</sup>.

كان الفوز لمدرسة الرأي بعد الصراع العنيف بين المدرستين، و كان الاجتهاد في فترة الائمة الاربعة يعتمد على الكتاب و السنة والقياس والاستحسان والاجماع. وظهرت في هذا الدور أيضا مذاهب اخرى انقرضت و لم يبق الا اسمها كمذهب: سفيان الثوري، و الحسن البصري، و الاوزاع و ابن حريز الطبري وغيرهم<sup>١١</sup>.

مذهبها على غيره من المذاهب<sup>١</sup>، وراح فقهاؤهم و علماءهم يجمعون السنة النبوية الشريفة المضبغة بمنع التدوين و يدونونها في مجموعات حديثة<sup>٢</sup>، فظهرت الصحاح و المسانيد، و انقسم المسلمون الى مجموعات التفت حول فقهاء تلك المذاهب في تفسيرهم للأحاديث المجموعة لاستنباط الأحكام<sup>٣</sup>، مما أدى بدءا الى بروز المذاهب الثلاثة للأئمة مالك بن انس و إدريس الشافعي و ابوحنيفة النعمان، ثم جاء المذهب الظاهري<sup>٤</sup>، ثم زال الاخير و حل محلّه الحنبلي<sup>٥</sup>.

كان التشريع الاسلامي في عصر هؤلاء الأئمة الاربعة مبتنيا على الاجتهاد المطلق و الحكم بالرأي في فهم القرآن و الحديث<sup>٦</sup>.

تميزت هذه الفترة من اوائل القرن الثاني الى منتصف القرن الرابع، باتساع الحضارة و نمو الحركة العلمية في الامصار الاسلامية وازدياد حفاظ القرآن و العناية بأدائه - على اختلاف قراءاته- و تدوين السنة و اصول الفقه و ظهور المصطلحات الفقهية و ظهور المذاهب الاربعة وغيرها من المذاهب المنقرضة و النزاع في مادة الفقه: السنة و الاجماع و القياس و غيرها و انشقاق المدرسة السنية

١. كان الصحابة اذا عرضت لهم مسألة يحاولون إيجاد حلها من الكتاب او السنة، فإن وجدوا أحابوا وإن لم يجدوا عملوا برأيهم. اقا بزرك طهراني، تاريخ حصر الاجتهاد/٢٠ عن: الانصاف في بيان سبب الاختلاف. وانظر: وجدي، دائرة المعارف... ٢٠١٢/٣. و كان من الصحابة من يفتي في المسألة بالرأي مع وجود النص الصريح فيها. اقا بزرك طهراني، تاريخ حصر الاجتهاد/٢١ عن النص و الاجتهاد

٢. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون: ٣٣/١ بتصرف

٣. تعريف محمد باقر الصدر لأحد معاني الفقه. انظر: المدرسة القرآنية/١٥

٤. تاريخ ابن خلدون: ٤٤٦/١

٥. م. ن. ٤٤٨/١ بتصرف؛ و انظر: حسن ابراهيم حسن، تاريخ... ٤٥٠/٤

٦. انظر: ادم متسر، الحضارة... ٣٤٦/

٧. اقا بزرك طهراني، تاريخ حصر الاجتهاد / ٢١-٢٣

٨. م. ن. نفس الصفحات

٩. م. ن. ٤٢٣/٤٢٣؛ وانظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان ١٣٧/٤

١٠. م. ن. ٢٤ / عن: تاريخ التشريع الاسلامي/١٤٨

١١. م. ن. ٢٤/

## حصص الاجتهاد و الدعوة الى التقليد المؤدي الى صراع المذاهب

انحصر الاجتهاد في هؤلاء الائمة الاربعة وصار التقليد اليهم<sup>١</sup> باعتبار أنهم ومن سبقهم من علماء الصحابة والتابعين كالمعصومين<sup>٢</sup>، ولم يصل أحد من تلاميذهم الى رتبة الاجتهاد، فخشى على الدين، و سدّ باب الخلاف و طرقه و باب الاجتهاد، وصرّحوا بالعجز والإعواز، حتى اصبح الفقيه في القرن الرابع يقتصر حكمه على المسائل الصغيرة و ردّوا الناس الى تقليد الائمة الاربعة، وصار أهل السنة موزعون على مناطق وجود ائمتهم و أقلّهم جماعة احمد بن حنبل لبعده مذهب عن الاجتهاد<sup>٣</sup>.

لا يمكن تحديد هذه الفترة، لأن محاولات تحديد دائرة الاجتهاد كانت في فترات كثيرة، ما بين القرن الرابع والسابع الهجريين، كما عن خطط المقرئزي: في سنة ٦٦٥ على يد "بيبرس البندقاري حيث ولي مصر اربعة قضاء: شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي فاستمر ذلك حتى لم يبق في مجموع امصار المسلمين مذهب يعرف من مذاهب سوى هذه الاربعة، و عودي من تذهب بغيرها"<sup>٤</sup>.

وفيما بين القرنين الخامس والسادس لم يدع أحد الاجتهاد بمعناه الكامل، وانما وجد فقهاء ذوا اقتدار على الاستنباط في حدود مذاهبهم. ومن اواخر القرن السابع لم يوجد غير فقهاء ذوي فتاوى وترجيحات وبذلك ضاقت مجالات الاجتهاد حتى ظن البعض أن باب الاجتهاد قد

أغلق، وتوقف الفقهاء في هذا الدور عن كل حركة علمية وأعرضوا عن الكتاب و السنة، وراحوا يجترّون بعض الكتب الفقهية القديمة تذييلاً و شرحاً وتعليقاً و حشواً، و أغرموا بجدل لا يجدي و خلافات سطحية حول هذه الجملة أو تلك، و أفرغوا جهدهم في مباحكات لفظية و أفنوا كثيراً من وقتهم في خصومات صاحبة لم تُعد على الاسلام و المسلمين بأية فائدة<sup>٥</sup>.

بعد موت الائمة الاربعة راحت جماعات المقلّدين كل منها تعلي في شأن إمامها، و تطعن غيرها في محاولة لرحزحتها، بتكفيرها و اتهامها بالتجسيم والضلالة و البدعة، حتى آل الامر الى النفي و الاقتتال و إباحة الدماء، و استمر على هذا الحال حتى القرنين السادس و السابع<sup>٦</sup>.

وكان الحنابلة و المالكية الحديثيين أكثر عداءً لغيرهم من فرق المسلمين، و ادخروا أشد غضبهم للشيعه و لمن خاصمهم من المتكلمين<sup>٧</sup>. فكان الحنابلة ينقمون على المعتزلة، و إن كانوا من أئمتهم، حول رؤية الله تعالى أو عدمها يوم القيامة، إذ كانوا يقولون برؤيته و ينكره المعتزلة<sup>٨</sup>. و خالفوا الاشعرية و كان بينهم خصومات كثيرة. و ناس فقهاء الشافعية الحنفية على القضاء في العراق و تغلبوا عليهم في تولية قضاة بغداد عام ٣٣٨هـ، رغم كثرة اتباع أبي حنيفة في هذا الاقليم<sup>٩</sup>.

٥. م. ن. ٢٥/٢٦ عن الاجتهاد و التحديد... ٢٥٨-٢٥٩ بتصرف

٦. انظر: شهاب الدين ابو محمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس و السابع/٤٦، دارالجيل- بيروت ط-٢، ١٩٧٤. و انظر: بروكلمان، تاريخ الادب العربي ٤٥/٣-٤٦، دائرة المعارف بمصر ١١١٩: انظر فيما فعل بالطبري المفسر (ت ٣١٠) من قبل الحنابلة، وكذلك انظر:

ابن الجوزي، المنتظم من تاريخ الملوك و الامم ٢١٤/٣.

٧. ادم متسز، الحضارة... ٣٢٥؛ و انظر: الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٢٢٩/٨-٢٣٠.

٨. انظر: المقرئ، نفع الطيب ٣٩/٢-٤٠.

٩. ادم متسز، الحضارة... ٣٥٠.

١. تاريخ ابن خلدون: ٤٤٨/١

٢. انظر: تاريخ ابن خلدون: ٤٤٨/١ بتصرف

٣. انظر: تاريخ ابن خلدون: ٤٤٨/١

٤. اقا بزرگ طهراني، تاريخ حصص الاجتهاد/٢٥ عن: خطط المقرئزي ٤٤٣/٢، و انظر: حسن ابراهيم حسن، في التاريخ... ٤٥٠/٤

كاظم قاضي زاده، صادق آيينهوند، رضيه رجب طهمازي

## ٥- ظهور حكومات دينية: خريجي مدرسة القراءات والفقهاء

اختار الخلفاء الامويون للانديلسيين المذهب المالكي وشجعوا الناس على التفقه به، فتخرجت طبقة من الفقهاء، وفتحوا لهم أبواب العمل في دوائر الدولة و مساجدها، وأسندت اليهم الوظائف الهامة للقضاء وإمامة المساجد و القاء الخطب فيها. وقد عين هشام بن عبدالرحمن يحيى بن يحيى قاضيا وحوّله صلاحية تولية القضاء في اقطار الاندلس فكان لايتولي احد القضاء إلا بمشورته<sup>٥</sup>، فاشتد نفوذهم بالاندلس منذ أيام الدولة الاموية<sup>٦</sup>.

دام الحكم المرواني في الاندلس، منذ تولي عبدالرحمن الداخل قرطبة، ثلاث وثمانين ومئتين عام من ١٣٨ الى ٤٢٢ هـ صارت الاندلس ارضا تابعة للأمميين يصلح فيها حكمهم الذين تعاقبوا في اعتلاء العرش الاموي، ولم يخل حكمهم من بناء وعمران، والى جانبه شهدت البلاد حربا باردة بين الامويين والعباسيين واثارة الفتن بين قبائل البربر لتحريكهم ضد الفاطميين؛ ومن جهة اخرى أغدقوا الاموال على علماء مذهب لمحاربة مذهب آخر ليخلوا لهم الجو وينشغلوا بأمّعة الدنيا والجواري والمغنيات<sup>٧</sup> حتى زادت الاضطرابات واشتدت الفتن في نهاية القرن الرابع وثار عليهم

واستولى المالكية على مصر منذ منتصف القرن الثاني الهجري، وراح فقهاؤهم ينافسون الشافعية و الحنيفة في امتلاك عدد اكبر من حلقات المسجد الجامع<sup>١</sup>. وكان ابو الفضل من اهل البصرة من كبار فقهاء المالكية وعدّ من شيوخهم وقد ولي القضاء ببعض نواحي العراق، لكنه خرج منه اضطرارا ونزل مصر قبل الـ ٣٣٠ هـ، وادرك فيها رئاسة عظيمة وحدث عنه من لا يعد كثرة من المصريين والانديلسيين والقرويين<sup>٢</sup>.

و تعرض ابو حنيفة لجرح الحنابلة في العراق الذي يكثر فيه اتباعه، فنار عليهم الحنيفة وأتممهم بالتجسيم و الضلالة والبدعة<sup>٣</sup>.

أدت تلك الخلافات الى أن ينبري فقهاء ومفسرو كل مذهب لتأليف تفسير يرتكز على بيان احكام آيات القرآن لدعم و تثبيت مذهبه بعنوان ( احكام القرآن ) ، في مشرق العالم الاسلامي و مغربه؛ فظهر التنافس و الخلاف ، لكن ذكاء و اهتمام بعض علمائهم جعلهم ينتبهون الى هذه الكارثة التي أدت هذه المؤلفات اليها ، فانبرى القرطبي مشمرا عن ساعديه في جمع هذه المذاهب الاربعة مجتهدا في تأليف (جامع لأحكام القرآن..). جامعا للمذاهب، ولكن ، وللأسف، على غيرها من المذاهب الاسلامية التي يمتد وجودها الى عصر النبي (ص)، و أقصد المذهب الشيعي الأمامي الاثنى عشري التابع للأمام علي (ع) وصي النبي الاكرم (ص) و ذريته ؛ و كان ذلك هو القرطبي المفسر!

٤. انظر: مقدمة ابن خلدون/٤٩٢؛ المقرئ، نفع الطيب ١٥٨/٢؛ احمد امين،

ظهر الاسلام/٢٩/٣؛ خطط المقرئ ١٤١/٤

٥. ابن خلدون، المقدمة/٤٤٩؛ وانظر: المقرئ، نفع الطيب ٢١٨/٢

٦. حسن ابراهيم حسن ، تاريخ ... ٦٣١/٤

٧. العبادي، في التاريخ.../٢٤٣-٢٤٤

١. انظر: ابي سعيد المراكشي، المغرب ... /٢٤؛ وانظر: السيوطي ، حسن

المخاضرة ٢١٢/١

٢. الداودي ، طبقات المفسرين / ٨٥

٣. المقدسي ، السابق /٤٦-٤٧

ماوصل اليه من دمشق و بغداد و البصرة و مكة و المدينة<sup>٨</sup>.

إن طريقة التعليم<sup>٩</sup> و المذهب المالكي اللذان فرضا على الاندلسيين أديا الى أن يكون التفسير عندهم ساذجا مستندا الى القراءات و ظاهر الايات و خلواً عن مباحث علم الكلام مما أخرهم عن زملائهم في المشرق فيما يتعلق بمباحثه، وظلوا يلتزمون بالنص الحرفي للآيات القرآنية التي فيها ذكر لصفات الله، مما يفضي الى تجسيم للذات الإلهية والى إثبات صفات جسمانية له تعالى<sup>١٠</sup>.

أما الفقه، فلم يلتفت فقهاء المرابطين لمستجدات الامور و حاجة المجتمع الى أحكام جديدة، لاعتمادهم على الفروع في كتب المذهب التي نفقت في زمانهم، والعمل بمقتضاها<sup>١١</sup> و نبت ماسواها، حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسوله (ص) و لم يولوا أهمية لدراستهما، و لم يرجعوا الى الاصول لاستنباط الاحكام منها، مما أدى الى اضعاف روح الكشف و التجدد و سيق القوم وراء التقليد<sup>١٢</sup>.

لم تكن للمرابطين فلسفة خاصة مستمدة من واقعهم و من مفكرين يعيشون ذلك الواقع، لاتباع فقهاءهم عقيدة الاشعري من اصحاب الحديث المتشددين<sup>١٣</sup>، فكانوا يرفضون علم الكلام و المنطق<sup>١٤</sup>، بل يكفرون كل من ظهر منه الخوض

البربر لأنهم لم يحسنوا معاملتهم<sup>١</sup>، فاختموا و زال ملكهم و قام ملك الطوائف مقامهم تعاقب فيه ١٦ خليفة منهم<sup>٢</sup>.

### دولة المرابطين:

تعرضت دويلات الطوائف في الاندلس الى هجوم النصراني، مما دفع الاحساس الديني والوطني للبربر أن يهبوا بقيادة المرابطين لإنقاذ وطنهم بهيئة الدينية. و ترأس أبو عبدالله بن ياسين مؤسس هذه الحركة، التي كان جلّ اعضائها من الفقهاء المالكيين<sup>٣</sup>، حرب النصراني بقيادة يوسف بن تاشفين الذي قام بتعبئة مسلمي الاندلس و من سائر البلاد بفتوى الفقهاء و املائهم الكتاب الذي وجهه الى ملكهم في الاندلس<sup>٤</sup>، وثاروا الحمية الدينية في سكان المغرب و قبائلهم التي تأبى أن يحكمها أجنبي<sup>٥</sup>. و تمكن المرابطون من توحيد المغرب للمرة الثانية، بعد توحيدهم في دولة الادارسة، و وفق المذهب المالكي<sup>٦</sup>.

لم يشهد الادب و العلوم العقلية تناميا و توسعا في دولة المرابطين للحد الذي كان عليه في عهد ملوك الطوائف<sup>٧</sup>، بسبب سلطة الفقهاء، مما جعل المجتمع متقوقعا يكرر

١. زيبب، دولة التشيع/٩٣؛ وانظر التفاصيل في:

٢. وجدي، دائرة... ٦٥٨/١

٣. حسن ابراهيم، السابق: ٤٥٦/٤

\* تلقي فقهاء الملكيين العلوم و اصول الدين الاسلامي في بلاد الاندلس و خاصة قرطبة و رجعوا الى المغرب و اسسوا مدارس فقهية في القيروان أو فهدوا اليها رؤساء القبائل للثقفة فيها؛ فصارت لهم اليد الطولي وقرارات الفصل في دولة المرابطين.

انظر: سالم، المغرب الكبير: ٦٩١/٢

٤. حسن ابراهيم، السابق: ١٢٠/٤-١٢١

٥. وجدي، دائرة... ٦٧٢/١

٦. انظر: زيبب، الموسوعة: ٢٩١/٢، ٢٣٧، ٢٨٨، ٢٨٧؛ و انظر: وجدي، دائرة... ٦٥٩/١

٧. عمر فروخ، تاريخ الادب العربي: ٥٤٤/٤ بتصرف

٨. انظر: زيبب، الموسوعة: ٣٠٣/٢

٩. انظر: تاريخ ابن خلدون: ١/صص ٥٣٩-٥٤٠

١٠. سالم، المغرب... ٧٤٤/٢ عن: ليفي بروفنسال، الاسلام في المغرب و.../٢٥٠؛ و انظر: حسن ابراهيم... تاريخ... ٤٦٧/٤

١١. انظر: سالم، المغرب/٢-٧٤٣-٧٤٤ عن: ليفي بروفنسال، المصدر نفسه/ ٢٥٠

١٢. سالم، السابق: ٧٣٨/٢ و ٧٣٤ بتصرف

١٣. زيبب، الموسوعة: ٣٠٣/٢-٣٠٤

١٤. م. ن. ٢٩٧/٢



كاظم قاضي زاده، صادق آيينهوند، رضيه رجب طهمازي

الكلامي القائم على التأويل وفق العقيدة الاشعرية<sup>٨</sup>، مع كسب تأييد العلماء الذين التقاهم في رحلته، ليكونوا عوناً له ولدعوته في المستقبل<sup>٩</sup>.

**عقيدة الموحدين:** انتقى ابن تومرت عقيدته من المذاهب الاسلامية التي سبقتها<sup>١٠</sup> ومن الذين تلقى عليهم العلوم خلال رحلاته الى الاندلس<sup>١١</sup> و المشرق<sup>١٢</sup> و دونها في كتاب (أعزمايطلب)<sup>١٣</sup>، و شرحها باللغة البربرية لسكان بلده<sup>١٤</sup>.

**ففي التوحيد** فقد اختار عقيدته التوحيدية من بين الاشعرية و المعتزلة<sup>١٥</sup> ودعا الى التوحيد الخوض<sup>١٦</sup> بنفسه التقييد بالقبليّة و البعدية و الكيفية والأينية<sup>١٧</sup> وذهب الى أن صفات الله من ذاته<sup>١٨</sup> ووضع مبدأ بأن العبادات لاقيمة لها

فيهما، وقرر فقهاؤهم تقبيح علم الكلام وكرهه السلف له ، واعتبروه بدعة في الدين وسببا في اختلاف العقائد<sup>١</sup>. أما الفلاسفة فقد كانوا عرضة للاضطهاد والقتل<sup>٢</sup>.

حصر المجتمع بين جدران التوقع و التقليد و خنق الانفاس النائمة الى مدارس العلوم النقلية و العقلية و التفسير الظاهري المفضي الى التجسيم، أدى الى ظهور حركة دينية لإخراج المجتمع الى افق منفتح قائم على التوحيد الخالص، باسقاط دولة المرابطين و إقامة دولة الموحدين مكانها.

### دولة الموحدين:

ظهر الفقيه محمد بن تومرت المصمودي من بين الفقهاء و الدعاة المالكيين الذين كان المجتمع المغربي يمجج بهم<sup>٣</sup> وتحدى المرابطين بدعوته التوحيدية بعد أن رماهم بالشرك والتجسيم، حتى أسقط دولتهم وأقام الدولة الموحدية على مذهب كلامي دعا اليه<sup>٤</sup>؛ مستمرا في ميوله الدينية السلفية المحافظة، مع رعاية الفلسفة وتكريم اصحابها<sup>٥</sup>.

رحل ابن تومرت الى الاندلس لطلب العلم و الى المشرق الاسلامي مصدر العلوم للدراسة والتحصيل<sup>٦</sup> و المذاهب المتجددة<sup>٧</sup> ثم عاد الى المغرب حاملا اليه التوحيد

٨. انظر: حسن ابراهيم .. تاريخ.. ٢٩٤/٤، ٤٦٧. ينكر ابن خلدون عقيدته الاشعرية البحتة، اذ يعبرونه متأثرا بما.

٩. زيب ، الموسوعة: ٣٢١/٢

١٠. حسن ابراهيم ، تاريخ... ٤٦٧/٤ بتصرف ؛ و انظر: زيب ، الموسوعة ٣٢٢/٢

١١. النبي ابن حزم في مسجد قرطبة الكبير واخذ عنه الشيء الكثير من مذهبه الحزمي. انظر: سالم، المغرب ٧٧٠/٢ - ٧٧١ و زيب ، الموسوعة ٣٠/٢ و حسن ابراهيم ، تاريخ: ٤٦٧/٤

١٢. أخذ شيئا من اصول الدين من ابي بكر الشاشي وسمع الحديث على المبارك وغيره الذين التقاهم في بغداد التي كانت حينذاك من اعظم حواضر العالم الاسلامي في العلم و الادب والحضارة. انظر: حسن ابراهيم ٦٩٤/٤. و أخذ الكثير عن الغزالي انظر: زيب ، الموسوعة ٣٢١/٢ و سالم، المغرب ٧٧١/٢ و حسن ابراهيم، تاريخ: ٢٩٤/٤

١٣. انظر: زيب ، الموسوعة: ٣٢٠/٢، ٣٢٧ ؛ حسن ابراهيم ، تاريخ.. : ٤٦٨/٤ بتصرف

١٤. زيب ، السابق: ٣٢٧ /٢ عن : ابن قطان في نظم الجمان لوحة ٤٣ ب و انظر: حسن ابراهيم، تاريخ.. ٢٩٩ /٤

١٥. زيب ، الموسوعة: ٣٢٤/٢

١٦. حسن ابراهيم : ٤٦٨ /٤

١٧. انظر: أعز ما يطلب /٢٤٠-٢٤١ تحت عنوان : ( توحيد الباري سبحانه)

١٨. سالم، المغرب : ٧٧٧/٢

١. انظر: سالم، المغرب ٧٣٧/٢ - ٧٣٨؛ و انظر: حسن ابراهيم، تاريخ... ٤٣٣/٤

٢. حسن ابراهيم ، تاريخ.. ٥٣٧/٤، و انظر: المقري، نفح الطيب: و : الذنون، آفاق غرناطة / ١١٥ و : زيب ، الموسوعة: ٣٧١/٢ - ٣٧٢

٣. زيب ، الموسوعة ٣١٩/٢ و ٣٢٧

٤. حسن ابراهيم، تاريخ.. ٤٣٣/٤ و ٤٦٧؛ و انظر: تاريخ ابن خلدون ٢٩٩/١

٥. زيب ، الموسوعة: ٣٤٨/٢، و انظر: حسن ابراهيم ، تاريخ ... : ٥٤٠/٤

٦. سالم ، المغرب ٧٧٧/٢

٧. زيب ، الموسوعة : ٣٢٥/٢

الاحكام، وطلب من الفقهاء اجتهاد انظمة وقوانين لإصلاح الحياة العامة<sup>١١</sup>، و زاد أمراؤهم مرتبات القضاة والفقهاء وحدد عمل كل منهما، فاستعانوا بالقضاة على الفتن والعصيان، وبالفقهاء الاشتغال بالشرية<sup>١٢</sup>.

**أما العلوم العقلية:** الفلسفة والكلام، الذي بدأ التفكير بها في الاندلس مع التقاء المغاربة في رحلتهم الى المشرق بأهل الرأي الفلسفي وأهل الاعتزال<sup>١٣</sup> ولم يسلم اصحاب الفلسفة من فقهاء المغرب والاندلس التي كانت فتاواهم بأقلامهم بالكفر والزندقة تلاحقهم، مما اضطر انصار الفلسفة الى تاليف كتب لتبرئة ذمتهم من تلك التهم، فألف ابن باجة استاذ ابن رشد كتاب (تدبير المتوحد) قاصدا منه ربط الفلسفة بالتوحيد و اثبات استطاعة الانسان ان يتحد بالعقل الفعال دون معونة، وان تطهير النفس التدريجي بواسطة الاتحاد بالله هو مطلب الفلسفة<sup>١٤</sup>، ومؤكدا فيه على فصل الفلسفة عن المجتمع و تطمين الناس والحكومة على عجز الفلاسفة عن التأثير عليهما، انما غاية الفيلسوف منها هو اتصاله روحيا بالله<sup>١٥</sup>.

تمكن بعض الفلاسفة الذين برعوا في الكلام والطب والفقهاء أيضا، بدفاعهم الصائب و باتزان رصين ان يتسمنوا مناصب قاضي القضاة في قرطبة في نهاية عهد الموحدين، لكنهم لم يسلموا من الفكر المتحجر السلفي، وتعرضوا للإهانة والنفي وأحرقت كتبهم ولاسيما الفلسفة<sup>١٦</sup>.

بدون الايمان و الاخلاص وهما يقتضيان بالضرورة العلم بالله ومعرفة وجوده تتم ضرورة بالعقل<sup>١</sup> و بذلك صرف الناس عن اتباع مذهب السلف الذي قد يجرهم الى التشبيه والتجسيم<sup>٢</sup> الناتج عن تشبثهم حرفيا بمبادئ الاشعري<sup>٣</sup> وحثهم على العلم و التعقل و دعاهم الى التجدد و الانفتاح<sup>٤</sup>.

**تفسير القرآن والحديث:** فسّر ابن تومرت بنفسه القرآن والأحاديث النبوية الشريفة ليثبت نفسه كزعيم مذهب فيقبل الناس استدلالاته<sup>٥</sup> و يبين اعتقاده بأن الشريعة الاسلامية يجب أن تقوم مباشرة على دراسة القرآن و الحديث<sup>٦</sup>، ففتح بذلك باب التأويل و التفسير المجازي للقرآن المستخدم في تعريف صفات الله عن الاشاعرة<sup>٧</sup>، والذي كان أهل المغرب يتركونه و يمرون المتشابهات اقتداءً بالسلف<sup>٨</sup>، و حارب فكرة التجسيم الشائعة عندهم<sup>٩</sup>.

**في الفقه:** دعا ابن تومرت المؤسس الى الاجتهاد و نذ التقليد، مستبعدا تعاليم الفقهاء القائمة على القياس و الاجماع<sup>١٠</sup>. وقد أكد رؤساء الموحدين بعده على متابعة دراسة القرآن و الحديث، والى جانبه استنباط قوانين وأنظمة وفق مقتضيات المجتمع المغربي الجديد. وعلى الصعيد المدن، فقد أصلح القضاء بتجديد الافكار و

١. زيبب، ٣٢٧/٢

٢. انظر: حسن ابراهيم، تاريخ...: ٧٦٨/٤ و سالم، المغرب: ٧٧٧/٢

٣. زيبب، الموسوعة: ٣٧١/٢

٤. م.ن. ٣٣٨/٢ بتصرف

٥. م.ن. ٣٢٤/٢

٦. سالم، السابق: ٧٧٨/٢

٧. انظر: زيبب، السابق: ٣٢٤/٢

٨. تاريخ ابن خلدون: ٢٩٩/١ و: العير، ابن خلدون ٤٦٧/٦

٩. سالم، المغرب: ٧٧٧/٢

١٠. م.ن. نفس الصفحة

١١. زيبب، السابق: ٣٣٨/٢ بتصرف

١٢. وجدي، دائرة...: ٦٧٨/١

١٣. عمر فروخ، تاريخ...: ١٩٣/٤

١٤. زيبب، السابق: ٣٤٧/٢

١٥. انظر: م.ن. ٣٧٢/٢ بتصرف

١٦. م.ن. ٣٧٣/٢ بتصرف

كاظم قاضي زاده، صادق آيينهوند، رضيه رجب طهمازي

إلا في الفترة الاخيرة، و بالتحديد عهد الموحدين دخل قليل من الكلام كآلة وأداة لمقابلة غير مكاتبهم، التي كان للشيعه الحظ الاوفى، لاتباعهم مدرسة اهل بيت النبوة الذين اتخذهم الامويون اعداء لهم و حاربوهم وارغموا المسلمين على ذلك ترغيبا و ترهيبا. " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و يأبي الله إلا أن يتم نوره".

### فهرس المراجع

- [١] ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة- داذا احياء الكتب العربية تحقيق محمدابوالفضل ابراهيم
- [٢] الادنروي احمد بن محمد- طبقات المفسرين، تحقيق سليمان بن صالح الخزرجي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكمة، ١٤٠٣هـ.
- [٣] ابن حزم علي بن احمد بن سعيد الاندلسي، جمهرة انساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١٩٨٣/١ م.
- [٤] ابن خلكان احمد بن محمد، وفيات الاعيان وانباء الزمان، بيروت، دارصادر.
- [٥] ابن الخطيب، لسان الدين، الاحاطة في اخبار غرناطة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٣.
- [٦] ابن الجوزي، المنتظم من تاريخ الملوك و الامم، بيروت، دارالفكر.
- [٧] ابن حنبل احمد، مسند ابن حنبل، بيروت، دارصادر، لا تا.
- [٨] ابن سعد محمد، الطبقات الكبرى، بيروت، دارصادر، لا تا.

ظل نفوذ الفقهاء و تأثيرهم في الدولة و المجتمع، فلم يسلم علماء الموحدين رغم إبعادهم الفلاسفة و تقريب الفقهاء<sup>١</sup>، و اشتعل الصراع بين ملوك الموحدين المتوارثين و شيوخ المذهب لإعادة مذهبهم و تقوية مراكزهم والحفاظ على ثرواتهم و استقرائتهم، مما أضعف البلاد وأدى الى طرد الموحدين من الاندلس عام ٦٢٨، وانسحابهم الى المغرب لمجاهمة حركات الانشقاق والتمرد في افريقية<sup>٢</sup>.

تمكن الموحدون ما لم يتمكن غيرهم منه، باختيار آراء وعقائد اعتبروها صحيحة، من جميع المذاهب<sup>٣</sup> لتوحيد الصف الاسلامي، و التفّ المسلمون حولهم لإظهار بذل نفوسهم في مصلحة الدين لمنع غارات النصارى على بلادهم، واستشهد كثير من مجاهديهم في تلك المعارك، و تبعها الشقاق الداخلي، مما سبب زوال دولتهم<sup>٤</sup>، لكنهم لم يتمكنوا من تخليص مسلمي شمال افريقيا من ظل الفقهاء السلفية المصرّ في الالقاء عليهم.

تبعنا للظرف الزمكاني لهذه البقعة المهمة من العالم الاسلامي يهدينا الى القول: إن الفكر الفقهي المالكي السلفي الناتج عن الارادة السياسية الاموية دام مسيطرا علي الفكر الاسلامي لتلك المنطقة و الملقى بظلاله و أفقه الضيق عليها، رغم انفتاح الشعب المغربي على الفلسفة.

فإثبات هذا الفكر و نفي غيره من الافكار برزت الحاجة لإخراج تفاسير (أحكام القرآن) مستندة الى القراءات و الحديث و اللغة و خلواً من الفلسفة و الكلام،

١ الذنون، افاق .. ١١٥

٢. زيب ، السابق: ٤٠٤/٢ - ٤٠٥

٣. حسن ابراهيم ، السابق : ٤٦٨/٤

٤. انظر: وجدي ، دائرة ... : ٦٧٧/١ - ٦٧٨

- [٩] ابن شهر آشوب، مناقب ال طالب، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٦هـ.
- [١٠] ابن العربي القاضي ابوبكر، العواصم من القواصم، دارالجليل، لا تا.
- [١١] ابن كثير اسماعيل ابو الفداء، البداية والنهاية تحقيق علي شيري، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط١/١٤٠٨هـ.
- [١٢] ابن فرحون برهان الدين ابراهيم، الدياج المذهب في معرفة اعيان المذهب، دارالكتب العلمية، ط١/١٣٥١.
- [١٣] ابن عذارى، البيان المغرب.
- [١٤] ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، مدريد، ١٨٩٠م.
- [١٥] ابن خلدون عبدالرحمن، تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤١٠.
- [١٦] ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط٤، لا تا.
- [١٧] ابن النديم محمد بن اسحاق، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، لا تا، لا مط.
- [١٨] ابيض ملكة، التربية و الثقافة الاسلامية في الشام والجزيرة.. بيروت، دار العلم للملايين، ط١/١٩٨٠.
- [١٩] البستاني محمود، تاريخ الادب، في ضوء المنهج الاسلامي، بيروت، مجمع البحوث الاسلامية، ١٤١٠.
- [٢٠] الداودي محمد بن علي، طبقات المفسرين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢.
- [٢١] طهراني اقا بزرگ، تاريخ حصر الاجتهاد، تحقيق: محمدعلي الانصاري، قم، مطبعة الخيام، ١٤٠١.
- [٢٢] الذهبي محمد حسين، التفسير و المفسرون، بيروت دارالكتب الحديثه، ١٣٧٦-١٩٩٦.
- [٢٣] الذهبي، ميزان الاعتدال تحقيق محمدعلي الجاوي، بيروت، دار المعرفة، ط١/١٣٨٢.
- [٢٤] العبادي، احمد مختار، في التاريخ العباسي و الفاطمي، بيروت دار النهضة، لا تا.
- [٢٥] المالكي ابوبكر عبدالله، رياض النفوس، ج١، بيروت، دار المغرب الاسلامي، ١٤٠٣.
- [٢٦] بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ترجمة علي محمد النجار
- [٢٧] البلاذري احمد بن يحيى، انساب الاشراف، تحقيق محمد باقر المحموري، بيروت مؤسسة الاعلمي ط١/١٣٩٤.
- [٢٨] البلاذري، فتوح البلدان، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٣٧٩.
- [٢٩] الذنون عبدالحكيم، افاق غرناطة، دمشق، دارالمعرفة ط١/١٩٩٦.
- [٣٠] الزركلي خير الدين، الاعلام، بيروت، دارالعلم للملايين، لا تا.
- [٣١] الزرقاني محمدعبدالعظيم، مناهل العرفان، بيروت، دارالفكر، ط١/١٩٩٦.
- [٣٢] جعفران رسول، تاريخ تحول دولت و خلافت.. قم، دفتر تبليغات اسلامي، ١٣٧٧.
- [٣٣] حاجي خليفة مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي، كشف الظنون عن اسامي الكتب و الفنون، بيروت، دار الكتب العلمية، لا تا.
- [٣٤] حسن حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والديني، مصر، مكتبة النهضة، ١٩٦٧.
- [٣٥] السيوطي جلال الدين عبدالرحمن، الاتقان في علوم القرآن، بيروت، المكتبة الثقافية، ١٩٧٣.

كاظم قاضي زاده، صادق آيينهوند، رضيه رجب طهمازي

- [٣٦] سيد قطب، العدالة الاجتماعية، دار الشروق ط٢/١٩٨٩-١٤٠٩.
- [٣٧] الثقفي ابراهيم بن محمد، الغلات تحقيق جلال الدين المحدث، كتابخانه ملي.
- [٣٨] العلي احمد صالح، الكوفة واهلها في صدر الاسلام، بيروت، شركة المطبوعات، ط١/٢٠٠٣.
- [٣٩] المسعوي، التنبيه والاشراف لا تا، لا مط.
- [٤٠] نصر بن مزاحم، وقعة صفين
- [٤١] المرعشلي محمد عبد الرحمن، فهارس الجامع لاحكام القرآن، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط١/١٤١٤.
- [٤٢] الصدر محمدباقر، المدرسة القرآنية، ط٢، بيروت، دارالتعارف للطباعة، ١٩٨١.
- [٤٣] المقدسي شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل، تراجم رجال القرنين السادس والسابع- بيروت، دار الجبل، ط٢/١٩٧٤.
- [٤٤] السنوسي مفتاح بلعم، القرطبي حياته واثاره العلمية و.. بتغازط، ط١/١٩٩٨
- [٤٥] سالم عبدالعزيز، تاريخ المغرب الكبير، بيروت، دار النهضة، لا تا.
- [٤٦] سالم عبد العزيز، تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس مكتبة النجلو المصرية، ط٢/١٩٨٦.
- [٤٧] عثمان محمد فتحي، المدخل الى التاريخ الاسلامي، ط١، بيروت، دارالنفائس، ١٩٨٨.
- [٤٨] عباس احسان، عصر سيادة قرطبة، عمان، دار الشروق، ١٩٧٧.
- [٤٩] عباس احسان، تاريخ الادب الاندلسي، ط١، عمان، دارالشروق، ١٩٧٧.
- [٥٠] الوافي ابراهيم، الدراسات القرآنية في المغرب في القرن الرابع عشر الهجري، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ١٩٩٩ م.
- [٥١] فروخ عمر، تاريخ الادب العربي، بيروت، دارالعلم للملايين، ١٩٩٢.
- [٥٢] زيبب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الاندلس، لا تا، لا مط.
- [٥٣] المقري احمد بن محمد، نفح الطيب في ... تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨ م.
- [٥٤] الفرت يوسف عبد الرحمن، القرطبي المفسر سيرة ومنهج، الكويت، دارالقلم، ١٩٨٢-١٤٠٢.
- [٥٥] معرفت محمد هادي، التفسير و المفسرون، ط١، مشهد، بنياد پژوهشهاي اسلامي، ١٣٧٨.
- [٥٦] القصي زلط محمود، القرطبي ومنهجه في التفسير، ط١، القاهرة، دارالانصار، ١٣٩٩.
- [٥٧] الطرهوني محمد رزق، التفسير و المفسرون في غرب افريقيا، الدمام، دار ابن الجوزي، ط١/١٤٢٦.
- [٥٨] المشيني مصطفى ابراهيم، المدرسة التفسيرية في الندلس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٠٦-١٩٨٦.
- [٥٩] متز ادم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع، ترجمة هادي ابوريدة، القاهرة، مطبعة، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، ١٣٥٩-١٤٠٠.

## بررسی علل و عوامل رویکرد فقهی مکتب تفسیری اندلس تا قرن هفتم

کاظم قاضی زاده<sup>۱</sup>، صادق آیینه‌وند<sup>۲</sup>، رضیه رجب طهمازی<sup>۳</sup>

تاریخ دریافت: ۱۳۸۵/۱۱/۸

تاریخ پذیرش: ۱۳۸۶/۵/۷

این پژوهش در تلاش به پاسخگویی این سؤال است: چرا تفاسیر فقهی یا اجتهادی فراوانی بانام (احکام القرآن) در اندلس تا قرن هفتم به وجود آمد؟

منابع تاریخی و تفسیری در این پژوهش، بازخوانی شده اند و روش بکار گرفته شده توصیفی - تحلیلی بوده که هدف کشف عوامل تشکیل دهنده رویکرد مکتب تفسیری بسمت فقه است که عمده ترین آنها عبارتند از: خواست سیاست امویها - قرائتها و اثر آنها بر بروز مذاهب مختلف - ویژگی خاص اجتماعی و عقیدتی اندلسیها - بازگرداندن جایگاه و اعتبار به مذاهب سنی و ظهور حکومت‌های دینی سلفی.

در سایه عوامل ذکر شده، راهی باز شد تا قرائت‌های قرآن امور مسلمانان را در اندلس تحت الشعاع قرار دهد تا جایی که مردم بدانها مشغول و غرق شوند، در نتیجه از آموختن قرآن و احادیث تا قرن سوم به دور ماندند. بدیهی است که اختلاف در قرائت‌ها بیان احکام خود را و ظهور مذاهب و گرایش‌های فقهی نیز به دنبال دارد. هر کدام از آنها آن گونه که مذهب خویش را بزرگ می نمود و باعث تضعیف دیگر مذاهب می شد، تفسیر می کرد، لذا تفاسیر فقهی یا اجتهادی گوناگونی به وجود آمدند.

جنبش تفسیری در اندلس با تأخیر آغاز شد و محدود کسانی در قرن سوم نام آور شدند. دولت اموی نیز مذهب مالکی مبتنی بر حدیث سلفی بر آنها تحمیل می کرد. در دوره مرابطین سلفی، تفسیر رشد و نمو یافت و به دست شیخ ابن عطیه در دوره موحدین به بلوغ خود رسید. سپس در قرن هفتم قرطبی در پیچه‌ای بسوی اجتهاد گشود و مذاهب چهارگانه (اهل سنت) را با تفسیر خود (الجامع لأحكام القرآن) جمع نمود، که آن را می توان پایان این رویکرد فقهی در آن قرون نامید.

واژگان کلیدی: مکتب تفسیری اندلس، قرائت‌های قرآنی، تفاسیر فقهی، درگیری مذاهب، احکام قرآن

۱. استادیار، گروه علوم قرآن و حدیث، دانشگاه تربیت مدرس، تهران

۲. استاد، گروه تاریخ، دانشگاه تربیت مدرس، تهران

۳. دانشجوی دکتری، گروه علوم قرآن و حدیث، دانشگاه تربیت مدرس، تهران